داء الايدز بين المعاناة الصحيّة و الوصم الاجتماعي

أ/ بن صافي سميرة: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
أ.د/ فقيه العيد: جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

ملخص:

يعرف مرضى الايدز نوعا من الرفض و التمييز و التجنب من قبل محيطهم و هذا في مختلف الثقافات عبر العالم، من خلال هذا المقال نحاول توضيح لماذا هذا الوصم اللصيق بداء الايدز و مرضاه مع تبيين الآثار المترتبة عن هذا الوصم استنادا إلى عدد من الدراسات العلمية.

الكلمات المفتاحية: الايدز، فيروس الايدز، التمييز، الوصم.

Abstract :

AIDS patients suffer a discrimination and avoidance and rejection of those around them in different cultures around the world. From this article we will try to clarify why this stigma towards this category of sick, and to cite the consequences engendered by this stigmatization by relying on a number of scientific studies.

Key words: Aids, HIV, Discrimination, Stigmatization.

مقدمة:

عرف العالم في منتصف القرن التاسع عشر ظهور عدد من الأمراض الجنسية المعدية على رأسها السيلان والزهري، إلاّ أنّ الطب الحديث استطاع أن يكتشف أدوية تحدّ من انتشارها؛ و في بداية الثمانينات كان العالم مع موعد مع معضلة كبرى أو ما يسمّى بطاعون القرن العشرين و هو ما يعرف بداء الايدز أو مرض فقدان المناعة المكتسب.

منذ ظهور داء الايدز حصد العديد من الأرواح و لم يفرق بين رجل و امرأة أو كبير و صغير أو فقير وغني فهو مشكلة عالمية وتهديد خطير يؤرق البشرية لما له من آثار مدمّرة على الحياة الصحية والسوسيوثقافية والاقتصادية و تدمير القوى الفاعلة في المجتمع الإنساني، فالبشرية لم تواجه في تاريخها وباء في خطورة هذا الداء. أصبح الإنسان في حيرة من أمره اتجاه داء الايدز إذ لم يتوصل إلى علاج نهائي له أو للخفض من حدّة انتشاره بين الشعوب على الرغم من التقدم العلمي الهائل في كافة مجالات الحياة وهذا كونه ذو نوعية خاصة فهو في آن و احد مرض جنسي، و مرض متنقل، و مرض مزمن، و مرض مميت.

1. الإشكالية:

يوجد رفض اجتماعي و ثقافي بنسب متفاوتة يرتبط بالإصابة بداء الايدز في كل أنحاء العالم، ويتم التعبير عنه بطرق مختلفة فيتعرض مرضى الايدز لشتّى أشكال النبذ و الرفض و التمييز و التجنب من قبل المجتمع المحيط بهم، و يتمثل ذلك في الفحص الإجباري لاكتشاف تطور فيروس الايدز دون الحصول على موافقة مسبقة من الشخص الذي يتم عليه الفحص، و دون فرض نوع من الحماية على النتائج لمراعاة السرية و احترام الخصوصية، بالإضافة إلى العنف الذي يتم ممارسته ضدّ الأشخاص المصابين بالفيروس و حتّى الأشخاص المشكوك في إصابتهم بالدّاء، و آخر هذه الأشكال هو الحجر الصحي الذي يتم تطبيقه على هؤلاء المرضى دون أدنى مراعاة لحقوقهم الشخصية و ظروفهم المرضية و حالتهم الصحية الحرجة[1]، مرض الايدز مقرون بممارسات لا أخلاقية سواء كانت ممارسات جنسية خارجة عن نطاق الزواج أو شاذة، أو كانت ذات علاقة بالمخدرات أي الحقن الوريدي، مما سبق وجب معرفة هل يعاني مرضى الايدز من الوصم ؟ و ما هي الآثار الناجمة عنه؟

قبل الخوض في موضوع الوصم اللصيق بداء الايدز وجب علينا تقديم كلّ ما يتعلق بهذا الأخير من تاريخ ظهوره وكيفية نشوئه، قنوات انتقاله و ما إلى ذلك من معلومات تفيد تفسير التساؤل المطروح.

2. مفاهيم مرتبطة بالدراسة:

تعريف مرض الايدز:[2]الايدز هو الاسم المعرب لمرض يعرف بمتلازمة نقص المناعة المكتسب، و أصل كلمة الايدز هو (AIDS) و هي اختصار للاسم الطبي باللغة الانجليزية لهذا المرض و هي Acquired Immune Deficiency Syndrome و هي تعني:

Acquired: المكتسب و هو تمييز لهذا المرض عن مرض فقدان المناعة الوراثي، لأنه يكتسب بسبب عوامل طارئة غير وراثية.

Immune: المناعة و المراد بها الجهاز المناعي لجسم الإنسان.

Deficiency: نقص أو فقدان.

Syndrome: متلازمة و هي مجموعة من الأعراض التي تميز مرضا معينا أو أكثر بمعنى آخر مرض يصاب فيه أكثر من جهاز من أجهزة جسم الإنسان.

Immune Deficiency: هو نقص أو فقدان المناعة الذي يتمثل في الضعف الشديد و الذي يصيب الجهاز المناعي للإنسان، مما يعرضه للأمراض و الأورام السرطانية.

وعليه فان الايدز هو مرض يسببه فيروس نقص المناعة البشري، حيث يعمل هذا الفيروس على تدمير جهاز المناعة في جسم الإنسان، فيجعله عرضة للأمراض القاتلة و الأورام السرطانية التي تودي بحياة الإنسان.

3. لمحة تاريخية عن الإيدز:

رغم أن أول وصف موثق لهذا المرض قد ظهر في عام 1981م، إلاّ أن العلماء يعتقدون أن الإصابة به قد حصلت قبل هذا بكثير نظرا لطول مدّة الحضانة التي ربما تمتدّ إلى عدّة سنوات قبل ظهور أوّل علامة للمرض، في هذا الصدد ذكر "جيل ألفونسي" أنّ أوّل آثار فيروس الايدز ترجع إلى نهاية الخمسينات، فأقدم بلازما للفيروس يعود إلى عام 1959م و كانت العينة من عاصمة جمهورية الكنغو الديمقراطية، [3] أمّا محمد القصيمي و أحمد نبيل المذكوران في الفاضل العبيد 1988 يؤكدان أن مرض الايدز موجود منذ بدأ البشرية إلا انه كان مستترا في عائل حيواني خلاف الإنسان، و أظهرت الأبحاث الفرنسية أنّ 60% من سكان أوغندا لهم احتكاك بفيروس الايدز، وهذا ما دفع إلى الاعتقاد أنّ الفيروس أفريقي المنشأ ومنها تمّ تصديره إلى جميع أنحاء العالم.[4]

4. النظريات المفسرة لظهور فيروس الايدز:[5]

هناك حوالي عشر نظريات كل واحدة تحاول أن تفسر مصدر هذا الفيروس الفتاك إلاّ أنّ أكثرها تداولا هي كالتالي:

- نظرية ترى أنّ الفيروس نتاج أبحاث علمية في المختبرات التي تهتم بدراسة الجراثيم التي يستعملها العلماء في الحروب الجرثومية أي أنها صنع بشري إلا أنّه تبيّن عدم صحتها حيث أنّ الجراثيم التي تستعمل في مثل هذه الحروب يجب أن تنتقل عن طريق الهواء أو الماء أو الطعام حتى تقتل أكبر عدد من الناس.
- نظرية طرحها بريطاني قائلا: "لبدّ أنّه هناك شهاب وقع من السماء ملوث بفيروس لم يكن موجودا على الأرض سابقا فنشر مرض الايدز."
- نظرية انتقال المرض من القرد إلى الإنسان، تحديدا من القرد الأخضر الذي يعيش أواسط أفريقيا في الزائير، حيث اكتشف العلماء فيه فيروس شبيه بفيروس الايدز و ليس نفسه، فقال العلماء أنّ هذا الفيروس انتقل بطريقة ما إلى أحد الشاذين الجنسيين فتغيّر المضيف من القرد إلى الإنسان عندها تغيرت خصائص هذا الفيروس و ظهر هذا المرض، وهذه النظرية تعدّ من أهم النظريات و التي مازال يركزّ عليها العلماء.

الايدز مرض جنسي فيروسي متنقل قاتل، فهو يصيب الجهاز المناعي للإنسان مما يؤدي إلى عدم قدرته على العمل بنفس الكفاءة السابقة فيجعل الشخص المصاب معرضا للإصابة بكثير من العدوى التي لا تصيب الشخص السليم، و تعرفه منظمة الصحّة العالمية (1985) أنّه مرض يسببه فيروس نقص المناعة البشري، حيث يعمل هذا الفيروس على تدمير جهاز المناعة في جسم الإنسان، فيجعله عرضة للأمراض القاتلة و الأورام السرطانية التي تودي بحياته.

ينتمي الفيروس (VIH) المسبب لمرض الايدز إلى عائلة الفيروسات الارتدادية دائري الشكل صغير الحجم معقّد التركيب يتكون من زوج حلزوني منفرد على شكل ARN و يتميّز باحتوائه على نوع خاصّ من الأنزيمات التي تحوله من صورته الطبيعية إلى زوج حلزوني من ADN داخل الخلية التي يهاجمها.[6]

5. طريقة عمل فيروس الايدز :

يعدّ فيروس الايدز من أضعف الفيروسات خارج الخلية الحية و بالتحديد خارج جسم الإنسان ولكنه ما أن يدخل إلى جسم الإنسان يصبح شرسا ويفتك بجهاز المناعة حتى يحطمه ويجعل جسم الإنسان المصاب عرضة لكثير من الأمراض الانتهازية بل إن جسم الإنسان ينهار عند دخول أي جرثومة كان جسمه في مقدرة على مقاومتها و القضاء عليها في وجود جهاز مناعة سليم.

نقصد بالمناعة الجسمية لدى الفرد هي القدرة على مقاومة مختلف الانتانات التي قد تصيب الجسم من خلال مختلف التفاعلات التي تعمل على إزالة الأجسام الدخيلة عن الجسم و يتمّ هذا عن طريق الجهاز المناعي، يتكون هذا الأخير من قسمين: مركزي و يحتوي على الغدّة السعترية التي يتمّ بها إنتاج و نضج الخلايا اللمفاوية و نقي العظم الذي يعتبر مصدر للخلايا اللمفاوية المختلفة. وقسم محيطي يتكون من الطحال و العقد اللمفاوية، يؤمن هذا الجهاز سلامة الجسم من التعرض لمختلف الميكروبات و ما تسببه من أضرار بواسطة خلايا مناعية مختلفة كالخلايا اللمفاوية البائية B و التائية T و الخلايا البلعمية و كذلك الخلايا الطبيعية القاتلة NK إضافة إلى خلايا أخرى وهي خلايا تنشط أثناء تعرض الجسم لدخول جسم غريب كالفيروسات و الطفيليات، أو البكتيريا ...الخ، بالإضافة إلى تواجد ما يعرف بالغلوبيلينات المناعية و التي تتضمن خمسة أنواع و هي:

(IgD,IgE,IgA,IgA,IgM,IgG) و التي من وظائفها تثبيط بعض الميكروبات و العمل على القضاء عليها.[7]

6. طرق العدوى:[8]

أثبتت الدراسات أنّ فيروس الايدز يوجد في كل سوائل جسم المريض و كذا حامل الفيروس أي في الدّم، و المني و السّائل المهبلي، و حليب الأمّ، و اللعاب و الدموع، بالإضافة إلى أنسجة الجسم و أعضائه فإذا انتقل أيّ نوع منها بأية طريقة عندها تحدث العدوى.

❖ السائل المنوي:

السائل المنوي للمصاب بفيروس الايدز يحمل أعدادا كبيرة جدا من هذا الفيروس، وينتقل المرض إلى فرد آخر بالطرق التالية:

أ –الزنا: وهذا يمكن أن ينقل الفيروس من الرجل إلى المرأة مع السائل المنوي أو العكس من المرأة إلى الرجل بواسطة السوائل المهبلية.

ب الشذوذ الجنسي: يتمثل في العلاقة الجنسية من نفس الجنس، فواحد من الطرفين يسبب العدوى للآخر، بغض النظر عن دوره في عملية الشذوذ.

❖ المحاقن الملوثة: وهذه إما أن تستعمل قصدا نتيجة الإدمان أو جهلا و فقرا نتيجة الإهمال كما يلي:

أ -الإدمان على المخدرات بواسطة الحقن، حيث يتداول المدمنين على نفس المحقن مما يجعل الفيروس ينتقل من المصاب إلى غير المصاب.

ب استعمال إبرة المحقن طبيا أكثر من مرة دون تعقيمها، و هذا أكثر ما يحدث في أفريقيا نتيجة الجهل و الفقر.

❖ سوائل الجسم الأخرى:

أ -الدّم: لعب دورا هاما في انتشار العدوى عند ظهور المرض، حيث أخذ هذا الأخير من حاملي الفيروس، و استعمل في نقل الدّم أثناء العمليات الجراحية، لكن حاليا هذا العامل المسبب لانتقال العدوى أصبح لا وجود له بسبب الفحوصات التي تجرى عند أخذ الدّم و قبل استعماله.

ب استعمال بعض مشتقات الدّم الملوث مثل العامل الثامن الذي يعطى لمرضى النزيف الوراثي (Hémophilie)

ت حليب الأم المصابة: إذا كانت الأم مصابة بالفيروس و حملت أو أصبحت مرضعة فان الفيروس ينتقل بواسطة الحليب للطفل أثناء عملية الرضاعة أو إلى الجنين عن طريق المشيمة.

ث اللعاب: و هو أمر لم يثبت بشكل قطعي إلا أنّه لا يوجد ما يمنع ذلك علميا حيث أنّ اللعاب سائل من سوائل الجسم فيه كريات دم بيضاء و يمكن أن تكون مملوءة بالفيروسات.

❖ زراعة الأعضاء: إذا كان العضو المراد زراعته قد أخذ من شخص مصاب بفيروس الايدز، فانّ هذا العضو يكون ملوثا به و بالتالي ينتقل المرض معه للمستقبل الجديد، و هذا ما يحدث عند زراعة الكلية أو القلب أو القرنية.

❖ أدوات تستعمل في العلاج:

أ -أدوات الوشم و الفصد و الحجامة (التشريط): أدوات كالشفرة و غيره تستخدم للوشم أو التشريط أثناء الحجامة و تستعمل لأكثر من فرد دون تعقيم مما يزيد فرص انتقال الفيروس من واحد لآخر.

ب الأدوات الجراحية الملوثة: و هذه رغم ندرة حدوثها في الجراحة إلا أنّها اكتسبت أهمية خاصة بعد التقرير الذي ظهر في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1991م، و مفاده أنّ أحد أطباء الأسنان أمريكي كان سببا في نقل الايدز إلى ثلاثة من مرضاه أثناء العمل بواسطة أدواته الملوثة.

عموما الشذوذ الجنسي و الزنا و المخدرات هي القنوات الرئيسية لانتشار مرض الايدز، و الباقي لا يعدو أن يكون روافد فرعية بسيطة يتناقص دورها يوما بعد يوم، مقارنة بالأصول الثلاثة الأولى.

7. العوامل المساعدة على انتشار مرض الايدز:[9]

عوامل عديدة تساعد على انتشار مرض الايدز أهمها:

- ضعف الوازع الديني: عدم تمسّك الشعوب بالقيم الأخلاقية أدّى إلى انتشار الرذيلة بشتّى أنواعها من انحلال أخلاقي إلى إباحية مطلقة في العلاقات الجنسية، كانتشار الزنا و اللواط و سائر العلاقات الجنسية الشاذة و المحرمة، لقد حذرنا نبيّنا محمد صلى الله عليه و سلم من هذا الانحراف السلوكي الشاذ حيث بيّن أنّ انتشار الفاحشة و الإعلان بها هو سبب انتشار الأوبئة الكاسحة و تفشي الموت و الهلاك بين بني البشر. قال عليه الصلاة و السلام:" لم تظهر فاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون و الأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا."[10]
- الفقر و الأمية و البطالة: لقد اتضح جليا من خلال الأبحاث العلمية المنشورة و الموثقة حول العالم عن مرض الايدز أنّ الأمية تعتبر أحد الروافد الهامة التي تشارك و تساهم بشكل فعّال في انتشار فيروس الايدز في أقطار العالم المختلفة، أمّا فيما يخصّ الفقر فقد كشف مكتب العمل الدّولي لعام 2000م، أنّ ربع سكان البشرية يعيش في بؤس، و إذا كان الفقر يعني عدم قدرة الشخص على توفير الحدّ الأدنى من ضروريات الحياة فانّ محاولات التخلص منه أو الحدّ من أثاره قد تدفع البعض إلى بيع كل شيء من أجل أن يفي و لو بقليل من ضرورياته، و إزاء الظروف الاقتصادية و الاجتماعية الصعبة التي يمر بها الناس و الرغبة في تحسينها يندفع البعض منهم إلى الوقوع في دوامة الانحراف و براثين الفساد الجنسي و الأخلاقي ممّا يفتح باب الدعارة و المتاجرة بأعراض البشر و مع انتشار الأمية و الفقر و البطالة في أنحاء متفرقة من العالم وجد مرض الايدز مرتعا خصبا لانتشاره.
- المخدرات بأنواعها: تختلف التقديرات حول حجم الأرقام الدولية لتجارة المخدرات في العالم فيرى البعض أنّ حجمها قد يصل إلى 400 مليار دولارا سنويا، ويرى البعض الآخر أنّ حجمها قد يصل إلى 600 مليار دولارا سنويا، بينما تقول تقديرات أخرى أنّ الرقم الحقيقي قد يصل إلى 1500 مليار دولارا و هو ما يعادل نصف حجم التجارة الدولية، و هذه الأرقام الضخمة لتجارة المخدرات توضح بجلاء حجم الاستهلاك العالمي للمخدرات بغضّ النظر عن الكميات المستعملة في صناعة الأدوية.
- الهجرة: الهجرة بين دول العالم و الانتقال من بلد إلى آخر يعدّ أحد المصادر الهامة التي تساعد على انتشار فيروس الايدز، حيث يعيش الأفراد بعيدا عن أسرهم و قد تصبح الأغلبية منهم في حاجة ملحّة إلى المال، ما قد يجبر البعض منهم إلى العمل في تجارة الجنس من أجل الحصول على المال.

8. البيئات الاجتماعية الأكثر عرضة لانتشار الايدز:[11]

من الضروري التعرف على البيئات التي ينتشر فيها مرض الايدز حتى يمكن تقديم خطط اجتماعية لوقاية البشر الآخرين الموجودين في هذه البيئات من خطر انتقال فيروس المرض إليهم. و تتحدد هذه البيئات استنادا إلى متغيرات عديدة هي كالآتي:

❖ المتغير الايكولوجي: نجد أنّ مرض الايدز أكثر انتشارا في البيئات الاجتماعية الهامشية، إذ يتبع مرض الايدز مواطن الضعف القائمة في المجتمع حيث يستفيد في وجوده و انتشاره من أشدّ مشاكل الإنسان قسوة و استعصاء كالفقر و التمييز، فهو فيروس "انتهازي" يستغل الجهل و الإجحاف و الخوف و تعتبر الأمية في هذا الإطار من المتغيرات التي تخلق ميدانا ملائما لانتشار هذا المرض، فهناك اعتقاد عند الرجال في بعض أجزاء أفريقيا أنّ مضاجعة امرأة بدينة شيء مأمون و يعتقد آخرون أنّه يمكن لرجل يحمل الفيروس التخلص منه بمضاجعة امرأة عذراء، و هذا ما يعني أنّ الجهل و الأمية و التخلف عوامل تلعب دورا رئيسيا في عدم الاهتمام بالمعلومات أو المعرفة الصحية عن داء الايدز.يعتبر الفقر من العوامل المسئولة إلى حد كبير عن انتشار مرض الايدز و ذلك إما لارتباطه ببعض الظروف الأخرى كالأمية و الجهل أو لأنّ الفقر بذاته يدفع إلى ممارسة بعض السلوكيات ذات الصلة بانتشار هذا الدّاء، فخريطة العالم لانتشار مرض الايدز تبين تواجده في أشدّ المجتمعات فقرا و أنّه إذا تواجد في بعض المجتمعات الغنية فانّ كثافة الإصابة تتزايد في نطاق جيوب الفقر و الحرمان و معظمها في الأحياء الحضرية الفقيرة، وبذلك يعتبر الفقر أضعف خطّ لمقاومة انتشار مرض الايدز و واحد من أعتى القوى الدافعة لانتشاره.

❖ متغير النوع: في عام 1992م كانت معدلات الإصابة بالايدز بين النساء السود أكثر من ثلاثين إصابة لكل مائة ألف امرأة مقابل معدل يقلّ عن حالتين لكلّ مائة ألف بين النساء البيض و هو ما يعني أنّ الفقر يعتبر من العوامل المساعدة على انتشار الدّاء بسبب دفعه المباشر لممارسة الجنس للكسب، و هناك رأي متحيز ضدّ المرأة يؤكد أنّ النساء فئة أو ميدان ملائم لانتشار الدّاء، و هو متحيّز لأنّ الجنس خارج الشرعية الزواجية سلوك لا تمارسه المرأة وحدها، ولكن يمارسه في الغالب رجل و امرأة وفي دراسة أجريت على أربعين تلميذا في أوغندا من الجنسين أين سئلوا عن رأيهم في اعتبار المرأة هي المسئولة الأولى عن انتشار فيروس الايدز، أجاب أغلبيتهم بأن المرأة هي المسئولة بينما رأى ثلاثة فقط أنّ الرجل هو المسئول. و تعتبر السياحة و طلب الجنس خلالها وجها آخر من وجوه استغلال النساء الفقيرات، ويسعى المروجون لهذه التجارة الضخمة الأرباح إلى تغطية حقيقة حياة البغايا و يظهرن قبول البغاء في المجتمعات التي يقصدها السيّاح، كما أنّ لهذه السياحة مظهرا من مظاهر ازدواجية المعايير لأنّ الرجال القادمين من العالم الغني أو من البلدان التي تفرض عقوبات قاسية على ممارسة الجنس خارج إطار الزواج يقطعون المسافات الطويلة بحثا عن شريكات الجنس و الكثيرون يحرصون على التقابل مع نساء لا يطلبن العواطف و المحبة التي تطلبها زوجاتهم أو عشيقاتهم في مجتمعاتهم و لا مانع من أن تغضّ الدولة المستضيفة للأفواج السياحية الطرف عن هذه الممارسات لا أخلاقية لاعتبارات اقتصادية بالأساس.

❖ متغير العمر: يعرف الشباب استغلالا جنسيا و هذا خاصة بمرحلة ا لشباب المبكر و استنادا إلى معلومات قدمها بعض الشبان لبعض علماء الاجتماع الذين درسوا مشكلات الجنس في إفريقيا أشاروا إلى أنّ عددا من الطلبة المحتاجين للمال من أجل متابعة دراستهم يبيعون الجنس بأعداد متزايدة باطراد في شوارع أديسا بابا كما أنّها طريقة تعين ممارسي الجنس مع نفس النوع أن يخفوا هويتهم الجنسية لعقود طويلة خشية القمع الاجتماعي و السياسي، إلاّ أنّ السنوات الأخيرة شهدت نشاط حركة تحرير هذه الفئة حيث بدأ الناس يدافعون عنهم و بدؤوا هم بجرأة يدافعون عن أنفسهم، الأمر الذي يشير إلى ضعف معايير الثقافة الشعبية التي كانت تشكل ضوابط اجتماعية و ثقافية، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى مزيد من انتشار هذا المرض. أمّا بالنسبة للأطفال فالأخطار فظيعة حيث أنّ دعارة الأطفال قد ازدهرت نتيجة خوف زبائن الجنس من المرض و الأمر الذي دفع الوسطاء إلى استغلال مخاوفهم بتأكيدهم على "براءة" البغايا الصغيرات التي تدلّ على أنهن من الأرجح بريئات من العدوى.

9. الدراسات العلمية حول الوصم الاجتماعي للمصاب بالايدز:

المتعايش مع داء الايدز عرضة للإصابة بالأمراض الانتهازية و الأورام الخبيثة و المهددة له في كلّ وقت بالإضافة إلى العقاقير المجبر على تناولها بصورة مستمرة كحلّ للبقاء، كلّ ذلك يؤرق المصاب و يشعره بالقلق و الخوف الدائمين من نظرة المجتمع،[12] فخوفا من وصمة العار يكتم الكثير من المصابين انتقال الفيروس إليهم و هذا ما يجعلهم خطرا على أفراد المجتمع ككلّ، إلاّ أنّ كتمان الإصابة لا يستطيع أن يبقى أبدي حيث مهما طالت فترة ما قبل ظهور المرض وهي فترة حضانة أو ما يعرف بالايجابي المصل فحتما ستصل إلى مرحلة المرض أو ظهور الأعراض المصاحبة له و من هنا تبدأ عملية الوصم.

كلمة الوصم في اللغة الانجليزية يونانية الأصل تشير إلى وجود علامة جسدية في صورة وشم تمّ وضعه بالحرق أو الحفر في أجساد المجرمين أو العبيد أو الخونة من أجل تمييزهم ظاهريا على أنهم أشخاص منحرفون و سيؤوا الخلق و من ثمّ يجب على المجتمع تجنبهم و الابتعاد عنهم خاصة في الأماكن العامة، ثم استخدم هذا اللفظ فيما بعد للصفات الشخصية الأخرى التي تعدّ مخجلة أو مخزية. [13] تشكل إسهامات عالم الاجتماع جفمان (GOFFMAN) حجر الأساس في تحديد أبعاد مفهوم الوصم أو النظريات المفسرة له، فقد عرف الوصمة أنها الصفة التي تجعل الفرد مختلف عن الآخرين، و يتم تقويمه في عقولنا من شخص كامل و عادي إلى شخص ملوث وخصم. الوصم عملية يعرف بموجبها المجتمع سلبا العلامة المحددة كعرض أو مجموعة أعراض للمرض العقلي وهي صفة تشوّه السمعة، بالنسبة ل ."جفمان" الوصمة تشمل مفاهيم سلبية متجذّرة عن الأفراد الموصومين بناءا على المعاني الاجتماعية للعلامة، و أنّ العلامة و الصور النمطية المقترنة تقود أفراد المجتمع لمعاملة الشخص الموصوم بأقل من إنسان.[14]

أما جابر و آخرون[15] فقد عرف الوصم بتلك العملية التي تنسب الأخطاء أو الآثام التي تدلّ على الانحطاط الخلقي لأشخاص في مجتمع فوصمهم بصفات بغيضة و سمات تجلب العار وتثير حوله الشائعات وتتمثل هذه الصفات بخصائص جسمية أو عقلية أو نفسية أو اجتماعية .

الوصم من منظور الصحة العامة مجموعة من الاتجاهات المتحيزة و الاستجابات العاطفية السلبية و سلوكيات التحيز في البناء الاجتماعي تجاه فرد أو مجموعة معينة، و هي تشمل الوصم (الوشم بالمعنى السلبي) و الصور النمطية و الفصل و فقدان المكانة و التحييز ضدّ الأفراد المصابين بالايدز في مواقف القوة و الوصم مفهوم متعدد الأبعاد.[16]

أكدت عدّة دراسات علمية وجود وصم سواء كان اجتماعي أو ثقافي يرتبط بداء الايدز وهذا في كلّ أنحاء العالم أي على اختلاف الثقافات فعلى سبيل المثال لا الحصر في الوطن العربي دراسة الأحمري (2013) تحت عنوان الخصائص الاجتماعية و الصحية لمرضى الايدز و دورها في طبيعة تدخل الفريق المعالج و التي أجريت بمستشفيات و سجون مدينة الرياض بالسعودية ، فتوصل الباحث إلى أنّه يعاني أفراد عينة الدراسة معاناة كبيرة جدّا بسبب سوء وضعهم الاجتماعي و الصحي نتيجة للوصم الاجتماعي وقد استهدفت هذه الدراسة عينة قوامها 147 مصاب بداء الايدز. أمّا دراسة الدراوشة (2010) التي أجريت بثلاث جامعات أردنية و الموسومة ب المعرفة و الوصم الاجتماعي و اتجاهات طلبة الجامعات الأردنية نحو المصابين بمرض الايدز فقد أوضحت ارتفاع مستوى الوصم الاجتماعي لدى طلبة الجامعات، كما كان مستوى اتجاهاتهم نحو المصابين بالايدز سلبي جدّا، أمّا الدراسة التي استهدفت سكان الكويت من ذكور و إناث تراوحت أعمارهم 18–60 سنة عدا الأطباء وطلبة الطب و الأشخاص الذين لهم علاقة بمهنة الطب فبلغت العينة المدروسة (2219) شخصا و التي قام بها الأويش (1999) توصلت بنسبة 2.43% يجب عزل المصاب بالايدز عن المجتمع حتى لا ينتقل المرض للآخرين، و نسبة 9.87% قالت المصاب بالايدز يجب أن لا يترك طليقا في المجتمع، كما قام بادحدح (2009) بدراسة سعى من خلالها إلى دراسة الجوانب الاجتماعية و السلوكية لمرض الايدز في العالم العربي فكانت البيانات التي تم جمعها من طلاب الجامعات الحكومية في اليمن بنسبة 35% من المبحوثين يؤكدون وجود وصمة العار مرتبطة بداء الايدز.

على الصعيد الأجنبي دراسة BABETTE GEURTSEN (2005) تحت عنوان نوعية الحياة وعلاقتها بالتعايش مع فيروس الايدز بكمبوديا، فقد كشف تحليل البيانات عن العزلة و الوصمة التي يعاني منهما مرضى الايدز وتأثيرهما على نوعية الحياة ، و ذكرت دراسة فوستر و آخرون FOSTER (2007) عن مرض الايدز بالولايات المتحدة الأمريكية و أين كانت عينة الدراسة من جنس الإناث، وجود وصمة العار تجاه المصابين بهذا الداء، و على نفس النحو أكدت دراسة دلماني DLAMINI (2007) التي أجريت على عدد من الدول ليسوتو،

ملاوي، جنوب إفريقيا، سوازيلاندا، و تنزانيا شملت الدراسة كلا الجنسين، هنا أيضا يتعرض المصابون بالمرض إلى الإساءات و الوصمة الاجتماعية. يعاني الناس الذين يعيشون مع مرض الايدز بالبورتريكو من الوصم و الاضطهاد و العزلة وفقدان الوظيفة ومشاكل في الحصول على الخدمات الصحية و هذا ما أوضحته دراسة فاراس دياز VARAS DIAZ(2005)، أما عن دراسة MARK.POON.PUN &CHEUNG (2007) التي اعتمدت على مراجعة 49 دراسة امبريقية في موضوع وصمة الايدز توصلت إلى أنّ الوصم الاجتماعي لمرضى الايدز من أهم العوامل المحددة للخدمات الصحية التي يتلقاها المرضى و أن وصم الايدز يشكل هوية عفنة لمريض الايدز تؤدي إلى التقليل من قيمة المصاب و تحقيره في المجتمع.

خاتمة:

وصم مريض الايدز دلالة على ارتباطه بشيء يدعوا للخجل و المعيب، فحين نصف شخصا ما بشيء معيب مخجل فإننا في هذه الحالة نلصق به الوصمة ، ويكاد يكون انتشار ظاهرة وصمة مرض الايدز عاما في مختلف الأماكن وعند معظم الناس اللذين يتعامل معهم هذا المريض و الانطباع بحجم و تأثير الوصمة في المجتمع المحيط بمرضى الايدز كبير من خلال الملاحظة والممارسة وتجارب المتعايشين مع هذا المرض،وعليه يتجه العامة في الثقافة المحلية إلى تصورات مختلفة عند وصفهم لمرضى الايدز فمنهم من يرى انه خارج عن عادات وتقاليد المجتمع حيث يرتكب ما حرم الله ومنهم من يصفه بأنه شخص جاهل أقدم على عمل سبب به أذى لنفسه وضررا بصحته ، ومنه من يصفه بأنه مريض مثل أيّ مريض آخر ، إذا يجب أن نأخذ في الاعتبار الخلفية الثقافية والاجتماعية التي تؤثر في المفاهيم والأفكار التي يتبناها الأفراد في المجتمع نحو مرض الايدز بصفة عامة ومعتقداتهم عن أسباب المرض والطرق التي تؤدي إليه، فالخلفية الثقافية تتمثل في وجود صور نمطية وأنماط سلوكية وقيم وعادات وأفكار لها عمق تاريخي وخصائص تشترك فيها مجموعات من الناس وتنتقل عبر الأجيال ويتم تعلمها مع الوقت، حيث تنتقل رموزها لتتكون المعالم المتكاملة لها وتصبح ثقافة مجتمع حول مرض الايدز ، وهناك عوامل مختلفة مثل اللغة الدين والتراث والخبرات المتراكمة على مدى طويل ، كما يوجد علاقة بين الثقافة وبين الظواهر المرتبطة بها مثل ظاهرة وصم المدمنين على المخدرات ، وشرابي المسكرات ومرضى الايدز .

وصمة مريض الايدز لا تتصل به وحسب بل توصم بها أسرته والعاملون في مجالات الخدمة الصحية لمرضى الايدز والعاملون بمراكز الفحص الطوعي لهؤلاء المرضى ، أي وصمة تلحق بكل من يتعامل مع المرضى ، كما أنّ أنواع العلاج أو التحاليل الطبية تمثل وصمة أيضا لمن يتعاطاها ، وكل هذا ينعكس على المتعايشين مع الفيروس سلبا ويزيد من صعوبة تعايشهم مع المجتمع المحيط أو حتى الفريق المعالج نظرا لما تحمله الوصمة من معالم خفية قاسية على الموصوم .

الهوامش:

[1] الجزائري حسن عبد الرزاق، دور الدين و الأخلاقيات في الوقاية من الايدز و مكافحته، www.islamset.com

[2] البلوي حرب عطا الهرفي، كل ما تريد أن تعرفه عن مرض نقص المناعة المكتسب الايدز، ط4، ،دار الاعتصام، القاهرة، ، 1410هـ، ص25 .

[3] Gaelle Bomberau, , Représentations sociales du VIH/Sida en Guadloupe et Recommandations à l'usage de la santé publique, Thèse de doctorat, Université LAVAL, Quebec, 2005, p 196.

[4] .ادم بشير ادم كجور، نوعية الحياة لدى مرضى الايدز بمستشفى أم درمان، المجلة العلمية لجامعة الإمام المهدي، العدد السابع، يوليو 2016، ص 286.

[5] . بن صافي سميرة، فقيه العيد، العيش مع داء السيدا وصم و موت حتمي –مقاربة أنثروبولوجية–، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 19، جوان 2015.

[6] Michel Bourin., Les médicaments du sida, Ed Ellipses, Paris, 1995, p 9

[7] .Jean François Bach ,Philippe Lesavre.,Immunologie , 2eme ed, Paris :Flammarion médecine Science , 1979, pp,1-24.

[8] بن صافي سميرة، التصورات الشعبية لمرض فقدان المناعة المكتسب بمنطقة تلمسان –دراسة انثروبولوجية– ، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، مذكرة ماجستير غير منشورة في أنثروبولوجيا الصحة والبيئة، 2010، ص ص،23،22.

[9] عبد الخالق حسن يونس، خطر الايدز،ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004، ص ص،79،77.

[10] سنن ابن ماجة، كتاب الفتن، باب العقوبات، حديث رقم 4155، ص52.

[11] علياء شكري و آخرون، الصحة و البيئة، ط1، مركز البحوث و الدراسات الاجتماعية ، القاهرة، 2001، ص ص، 153،152.

[12] بن اسماعيل رحيمة، دور التكفل السيكولوجي في تحقيق التوافق النفسي لدى المتعايش مع فيروس السيدا، جامعة محمد خيضر بسكرة، مجلة علوم الإنسان و المجتمع، العدد 11،سبتمبر 2014، ص 344.

[13] سعد بن عبد الله سعد آل تومان الأحمري ، الخصائص الاجتماعية و الصحية لمرضى الايدز و دورها في طبيعة تدخل الفريق المعالج، أطروحة دكتوراه الفلسفة في العلوم الأمنية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2013، ص 29.

[14] .دياب البداينة، تطوير مقياس للوصم الاجتماعي للمصابين بمرض الايدز في المجتمع العربي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية و الاجتماعية، المجلد التاسع، العدد الثاني، يونيو 2012، ص 48.

[15] جابر عبد الحميد و آخرون، علم النفس البيئي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1990، ص39.

[16] .دياب البداينة، مرجع سبق ذكره، ص 50.